أعظم أيام النصر فى مصر

منذ صباح السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣م إلى الساعة الثانية ظهرا (ساعة الصفر) كان الفريق «الشاذلى» منشغلا بتلقى تقارير تؤكد الاستعداد التام فى جميع الوحدات على خط القناة، ويتابع من خلال مركز القيادة موقع كل مقاتل واستعداده لمهامه القتالية المعدة له ليتأكد أن قواتنا فى حالة الاستعداد القصوى، وكان «الشاذلى» كقائد متحفز للثأر من عدوه يملؤه شعور بالقوة بترتيباته الدقيقة لكل شىء مع بعض من قلق ترقب التنفيذ، ويتابع تقارير عن أحوال العدو على الجانب الآخر شرق القناة فيطمئن لاسترخاء العدو وعدم انتباهه لاستعدادات قواتنا للعبور لمباغتته والهجوم عليه.

وكان الرئيس السادات فى مركز القيادة العامة يحتل مكانه على المنصة الرئيسة مع القائد العام ورئيس الأركان ورئيس هيئة العمليات حتى جاءت ساعة الصفر الثانية ظهرا التى انطلقت فيها طائراتنا تضرب بقوة معاقل العدو فى الطلعة الأولى وتعلن نجاح الضربة الأولى نجاحا كاملا ومذهلا لإسرائيل والعالم كله، فى ثلث ساعة فقط وبعد عشرين دقيقة من ساعة الصفر كانت طائراتنا قد ضربت مراكز القيادة ومراكز إدارة الطيران ومراكز إدارة الدفاع الجوى للعدو «الله أكبر»، ولما تأكد السادات من نجاح الخطوة الأولى هنأ القادة فى غرفة العمليات،

وانطلقت جنودنا طبقا للخطة يتسلقون ببراعة هائلة الساتر الترابى على درجات من الحبال، وآخرون فى مواقع أخرى يشقون بخراطيم المياه ارتفاعات هائلة للساتر الترابى وهم يرددون «الله أكبر»، والزوارق المطاطية تندفع بقوة وبسرعة هائلة على سطح مياه القناة تحمل قواتنا إلى الجانب الشرقى فى سيناء «الله أكبر» وساعة وراءها ساعات وامتدت المعابر تشق مياه القناة لتصنع جسرا تعبر من خلاله أسلحتنا الثقيلة إلى سيناء وصيحة التكبير تزلزل قلوبهم وتشعلهم حماسا «الله أكبر» و «الشاذلى» بانتباه هائل يتابع بقلق بالغ أدق تفاصيل تنفيذ خطته خطوة بخطوة وتحركات جنوده على خط النار.

وعاشت مصر كلها فى هذا اليوم العظيم من تاريخها مفاجأة الحرب فى حالة ترقب وقلق شديدين أثناء متابعة العبور من خلال شاشة التلفاز، كان الشعب المصرى كله يترقب النصر ويخشى تكرار الهزيمة، لم يكن جنودنا وحدهم يرددون صيحة التكبير «الله أكبر» فى لحظات العبور ولكن كان يرددها معهم الشعب المصرى كله فى الشوارع والمقاهى والبيوت وفى المساجد خاصة أن يوم نصر العبور توافق مع يوم العاشر من رمضان حتى أطلق البعض على حرب أكتوبر حرب العاشر من رمضان.

وكان لإعلان الحرب والعبور مفاجأة أيضا لأسرة الفريق «الشاذلى» فى منزلهم، فلم يعلموا بالحرب إلا من خلال وسائل الإعلام مثل باقى المصريين! وعن هذا اليوم قالت السيدة زينات السحيمى زوجة الفريق «الشاذلى» فى حوار لها:

«أنا عشت حياتى ربة منزل ويومها كانت عندى الخياطة وجاءت إلينا ابنة الجيران لتعلمنا بعبور الجيش للقناة، وكانت المفاجأة مدهشة لأن «سعد» لم يخبرنى أى شىء عن عزمه على الحرب، وكانت تلك عادته. كان رجلا عسكريا بكل ماتحمله الكلمة من معنى، كان دائما مشغولا بعمله، وكان صامتا لايتكلم معنا عن عمله على الإطلاق، فعمله خط أحمر ممنوع الاقتراب منه أو الكلام عنه، وكان يسافر ويعود ولا أعرف بسفره إلا بعد عودته وتلك كانت تعليماته لنا، وأصعب اللحظات التى عشتها معه هى فترات الحروب لأننا وقتها ما كنا نعرف عنه شيئا وكان يختفى لفترات طويلة دون أى اتصال بينما جيراننا الضباط كانوا يطمئنون أهليهم إلا «سعد» ما كان يتصل بنا ولاندرى عنه شيئا. وبالطبع لم يُعلمنا قط عن نية مصر فى دخول الحرب وظل قبل الحرب ثلاثة أشهر لم يحصل على إجازة».

كانت قلوب كل المصريين يملؤها خوف تكرار هزيمة ١٩٦٧م وخوف على أرواح أبنائهم وذويهم المقاتلين على خط النار ولم يكن أمامهم إلا الدعاء والتضرع إلى الله فى طلب النصر ونجاة أبناءنا المقاتلين على خط النار.

وفى يوم ٨ أكتوبر وبعد نجاح العبور وقف جنودنا البواسل بخطى ثابتة وثقة المنتصرعلى أرض سيناء الحبيبة والفرحة ملء عيونهم وهم يستقبلون الفريق «الشاذلى» فى ميدان القتال ويهتفون بخطة

(توجيه ٤١) التى حققوا بها النصر فى مرحلته الأولى، و توجيه ٤١ هو التوجيه الذى حل فيه الفريق «الشاذلى» ١٣٢ مشكلة كانت تواجه مخطط عبور القناة وتدمير خط بارليف وإقامة رءوس الكبارى شرق القناة، فى إنجاز خارق وغير مسبوق (حسب رواية الخبير العسكرى لواء د. إبراهيم شكيب).

والتف الجنود البواسل حول الفريق «الشاذلى» يهتفون باسمه بفرحة عارمة وثقة هائلة فى أروع حالة معنوية يمكن لقواتنا أن تصل إليها ربما خلال تاريخها العسكرى الحديث كله، ليسجلوا فرحتهم فى تلك اللحظات التاريخية فى لقطات فوتوغرافية التفوا فيها حول الفريق «الشاذلى».

ونجحت المرحلة الأولى من خطة «الشاذلى» ووصل جنودنا إلى عمق ١٢ كم داخل سيناء كما حدد لها «الشاذلى» وهى حدود الغطاء الجوى المصرى واقتحموا خط بارليف ونجح جنودنا فى إسقاط بعض حصونه، وحطموا الأسطورة الكاذبة للجيش اليهودى الذى لا يُقهر. وارتفع العلم المصرى ليرفرف خفاقا على الضفة الشرقية من القناة معلنا انتصار قواتنا على العدو.

وفى يوم ١٠ أكتوبر وطبقا للخطة كان على اللواء أول مشاة أن يتحرك جنوبا فى محاولة لاحتلال منطقة محددة فى تقدم حرج لأنه سيصبح خلال تحركه خارج المظلة الجوية، لذا كانت تعليمات

«الشـاذلى» المشددة بأن يتم التحرك بعد آخر ضوء للنهار ليحميهم ظلام الليل فـلا يرصده طيران العدو ويدمره، ولكن قائـد هذا اللواء لم يتبع تعليمات «الشـاذلى» وخالفها بتعجل التحرك قبل الغروب بسـاعتين، فرصـده العدو فى ضـوء النهار وتتبعه حتى ابتعـد عن مظلته الجوية وانهال عليه العدو ضربا حتى شتته وقضى عليه تماما.

واتخذ الفريق «الشـاذلى» من هذه الواقعة دليلا على صحة تقديراته للمرحلـه الأولى من خطته وحرصه على عدم قدرتنا على التحرك بعيدا عـن مظلتنا الجوية، وكان «الشـاذلى» ينتوى أن يظل فـى مواقعه التى اخترقهـا واحتلها لشـهور طويلة حتـى ترتبك الحياة فى إسـرائيل وينهار اقتصادها فتضعف من الداخل وتسقط فيما بعد من ضربة واحدة عند أول مواجهة مع جيشنا، ولكن ماحدث فى اليوم التالى غيّر مقاييس خطة «الشاذلى» وأضعفها.

السادات يأمر بتطوير الخطة والشاذلى يعترض:

وكما جاء فى مذكرات الشـاذلى: إنه فى يوم ١٢ أكتوبر طلب أحمد إسماعيل من «الشاذلى» تطوير الخطة بقرار سياسى من الرئيس السادات القائد الأعلى للقوات المسلحه وذلك للوصول إلى المضايق لتخفيف الضغط على الجبهة السـورية، فاعترض «الشاذلى» على تطوير الخطة على هذا النحو فى هذا التوقيت الحرج قبل أن تتاح للمرحلة الأولى من خطته أن

تستقر بما حققته كما رتب لها من قبل، ورأى أن تطوير الخطة للتحرك نحو المضايق فى هذا التوقيت فيه مخاطرة كبيرة لقواتنا، خاصة أن قواتنا ستكون خارج غطائها الجوى والمخاطرة ستكون نتيجتها الحتمية تدمير قواتنا، كما حدث مع لواء المشاة الذى تم تدميره بالكامل فى مساء يوم ١٠ أكتوبر عند محاولته الخروج بعيدا عن المظلة الجوية، كما رأى «الشاذلى» أن تطوير الهجوم لن يخفف من الضغط على الجبهة السورية عكس ما تصورت القيادة السياسية، فرفض «الشاذلى» القيام بمحاولة محكوم عليها بالفشل مقدما؛ حفاظا على قواته ومعداته.

فماذا كان رأى القادة العسكريين فى تطوير الهجوم؟

❑❑❑